

الْوَلَاءُ وَالْبِرُّ فِي الْأَسْبَاطِ

بقلم : د / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد: فإنه بعد محبة الله ورسوله تجب محبة أولياء الله ومعاداة أعدائه . فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، وذلك من ملة إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالافتداء بهم، حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمُ هُمُ الْبَارُونَ وَأَمَّا كُمْ
وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾^(١).

وهو من دين محمد عليه الصلاة والسلام. قال تعالى :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).
وهذه في تحريم — مولاة أهل الكتاب خصوصاً.
وقال في تحريم مولاة الكفار عموماً :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٣).

(١) الممتحنة آية ٤.

(٢) المائدة آية ٥١.

(٣) الممتحنة آية ١.

بل لقد حرم الله على المؤمن موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسباً، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَأَخَوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿لَا تَتَّخِذُوا قَوْمًا يُمُونُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(٢).

وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم، حتى لقد سمعت بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة في إذاعة عربية يقول عن النصارى إنهم إخواننا، وبها لها من كلمة خطيرة.

وكما أن الله سبحانه حرم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالى :

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٤).
وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٥).

فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٦).

فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت

(١) التوبة آية ٢٣.

(٢) المجادلة آية ٢٢.

(٣) المائدة الآيات ٥٥ — ٥٦.

(٤) الفتح آية ٢٩.

(٥) الحجرات آية ١٠.

(٦) الحشر آية ١٠.

أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم ويدعو بعضهم لبعض ويستغفر بعضهم لبعض.

وللولاء والبراء مظاهر تدل عليهما :

١ — فمن مظاهر موالاة الكفار :

١ — التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما، لأن التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما يدل على محبة المتشبه للمتشبه به، ولهذا قال النبي (ﷺ) : «من تشبه بقوم فهو منهم». فيحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم من عاداتهم وعباداتهم سماتهم وأخلاقهم كحلق اللحى وإطالة الشوارب والرتانة بلغتهم إلا عند الحاجة وفي هيئة اللباس، والأكل والشرب وغير ذلك.

٢ — الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين لأن الهجرة بهذا المعنى، ولهذا الغرض واجبة على المسلم. لأن إقامته في بلاد الكفر تدل على موالاة الكافرين — ومن هنا حرم الله إقامة المسلم بين الكفار إذا كان يقدر على الهجرة، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ لَكُذَّبُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَمْ نَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا بَلْ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَتَتَدُونَ سَبِيلًا ۝ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَتَتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾^(١).

فلم يعذر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة. وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية

(١) النساء الآيات ٩٧ — ٩٨

كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم.

٣ — ومن مظاهر مولاة الكفار السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتمعة النفس. والسفر إلى بلاد الكفار مُحَرَّم إلا عند الضرورة — كالعلاج والتجارة والتعليم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم — فيجوز بقدر الحاجة، وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين. ويشترط كذلك لجواز هذا السفر أن يكون مُظْهِراً لدينه معتزاً بإسلامه مبتعداً عن مواطن الشر، حذراً من دسائس الأعداء ومكائدهم، وكذلك يجوز السفر أو يجب إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

٤ - ومن مظاهر موالاته الكفار إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم وهذا - من نواقض الإسلام وأسباب الردة - نعوذ بالله من ذلك.

٥ - ومن مظاهر موالاة الكفار الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانة ومستشارين قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْمُرُكُمْ بِإِيمَانٍ لَكُمْ وَلَا بِأَمْرٍ يُغْنِيكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ إِلَّا الصَّالِحِينَ﴾ (البقرة: ١٣٧) فلو كان الكفار يأمرونكم بالإيمان لكانوا يأمرونكم بغير الله تعالى ، ولما كانوا يأمرونكم بغير الله تعالى لكانوا يأمرونكم بغير الله تعالى ، ولما كانوا يأمرونكم بغير الله تعالى لكانوا يأمرونكم بغير الله تعالى .

فهذه الآيات الكريمة تشرح دخائل الكفار وما يكونونه نحو المسلمين من بغض وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة وما يحبونه

(۱) آل عمران الآيات ۱۱۸ - ۱۱۹ - ۱۲۰

من مضرة المسلمين وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة وأنهم يستغلون ثقة المسلمين بهم فيخططون للإضرار بهم والنيل منهم.

روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: لي كاتب نصراني، قال: مالك قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١).

ألا اتخذت حنيفاً، قال: قلت يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدينهم وقد أقصاهم الله، وروى الإمام أحمد ومسلم أن النبي (ﷺ) خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة، فقال: إني أردت أن أتبعك وأصيب معك، قال: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا — قال: ارجع فلن أستعين بمشرك.. ومن هذه النصوص يتبين لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم ويكيدون لهم بالحق الضرر بهم، ومن هذا ما وقع في هذا الزمان من استفدام الكفار إلى بلاد المسلمين — بلاد الحرمين الشريفين — وجعلهم عمالاً وسائقين ومستخدمين، ومربين في البيوت وخلطهم مع العوائل، أو خلطهم مع المسلمين في بلادهم.

٦ — ومن مظاهر موالاة الكفار التأريخ بتاريخهم — خصوصاً التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي — والذي هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام، والذي ابتدعوه من

(١) المائدة آية ٥١.

أنفسهم وليس هو من دين المسيح عليه السلام، فاستعمال هذا التاريخ فيه مشاركة في إحياء شعارهم وعيدهم. ولتجنب هذا لما أراد الصحابة رضي الله عنهم وضع تاريخ للمسلمين في عهد عمر رضي الله عنه عدلوا عن تواريخ الكفار وأرخوا بهجرة الرسول (ﷺ) مما يدل على وجوب مخالفة الكفار في هذا وفي غيره مما هو من خصائصهم — والله المستعان.

٧ — ومن مظاهر موالاة الكفار مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبةها أو حضور إقامتها — وقد فسر قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾^(١).

أي ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار. ومن مظاهر موالاة الكفار مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم — دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد. قال تعالى :

﴿وَلَا تَدْنِ عَيْنُكَ إِلَىٰ الْمُنَافِقِينَ أَرْجُوا مِنْهُمْ زُحْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَتَفْسِدُنَّ فِيهَا وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾. طه، الآية ١٣١.

وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية بل ذلك مطلوب، قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٢).

وهذه المنافع والأسرار الكونية هي في الأصل للمسلمين، قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٣).

(١) الفرقان آية ٧٢.

(٢) الأنفال آية ٦٠.

(٣) الأعراف آية ٣٢.

وقال تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٢).

فالواجب أن يكون المسلمون سباقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات، ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها، بل يجب أن تكون لهم مصانع وتقنيات.

٩ — ومن مظاهر موالاة الكفار التسمي بأسمائهم — بحيث يسمي بعض المسلمين أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية ويتركون أسماء آبائهم، وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم. وقد قال النبي (ﷺ) : «خير الأسماء عبد الله وعبدالرحمن» وبسبب تغيير الأسماء فقد وجد جيل يحمل أسماء غريبة، مما يسبب الانفصال بين هذا الجيل والأجيال السابقة ويقطع التعارف بين الأسر التي كانت تعرف بأسمائها الخاصة.

١٠ — من مظاهر موالاة الكفار الاستغفار لهم والترحم عليهم، وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى :

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّرِّكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٣).

لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه.

٢ — مظاهر موالاة المؤمنين :

مظاهر موالاة المؤمنين قد بينها الكتاب والسنة ومنها :

١ — الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكافرين — والهجرة هي

(١) الحائثية آية ١٣.

(٢) البقرة آية ٢٩.

(٣) التوبة آية ١١٣.

الانتقال من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين. والهجرة بهذا المعنى ولأجل هذا الغرض واجبة وباقية إلى طلوع الشمس من مغربها عند قيام الساعة، وقد تبرأ النبي (ﷺ) من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، فتحرم على المسلم الإقامة في بلاد الكفار إلا إذا كان لا يستطيع الهجرة منها. أو كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام. قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِغَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَلْ جَزَاءُ فِيهَا قَالُوا بَلَىٰ مَا أُولَئِكَ بِأُولِي حِجْلٍ وَلَا يَأْتِيهِمْ سَبِيلٌ ۝ فَأُولَئِكَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَعُوقَهُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَاقِبَةً غَفُورًا ۝﴾ (١).

٢ — مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم، قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ﴾ (٢). وقال تعالى : ﴿وَلَا تَنْصُرُوا فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ مِنَ النَّصْرِ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۖ﴾ (٣).

٣ — التألم لألمهم والسرور بسرورهم، قال النبي (ﷺ) : «مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه ﷺ».

(١) النساء الآيات ٩٧ — ٩٨ — ٩٩.

(٢) التوبة آية ٧١.

(٣) الأنفال آية ٧٢.

٤ — النصح لهم ومحبة الخير لهم وعدم غشهم وخديعتهم، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». وقال : « المسلم أخو المسلم لا يحقره ولا يخذله ولا يسلمه، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ». وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تناجشوا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا ».

٥ — احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقصهم وعبههم — قال تعالى :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْمُسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ مَرَيْبُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْنُبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لِمِ أَخِيهِ مِمَّا فَاكَّرَ مِنْهُ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ قَوَّابٌ رَجِيمٌ ٦﴾ (١).

٦ — أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء بخلاف أهل النفاق الذين يكونون مع المؤمنين في حالة اليسر والرخاء ويتخلون عنهم في حال الشدة. قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْكُمْ فَهُمْ بِكُمْ هَيَّاءُ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧﴾ (٢).

٧ — زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع معهم — وفي الحديث القدسي : (وجبت محبتي للمتزاوئين في). وفي حديث آخر : (أن

(١) الحجرات الآيات ١١ — ١٢

(٢) النساء آية ١٤١.

رجلاً زار أخا له في الله فأرصد الله على مدرجته ملكاً — فسأله أين تريد؟ قال أزور أخاً لي في الله، قال : هل لك عليه من نعمة تربها عليه، قال لا: غير أنني أحببته في الله قال : (فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه).

٨ — احترام حقوقهم — فلا يبيع على بيعهم ولا يسوم على سومهم ولا يخطب على خطبتهم ولا يتعرض لما سبقوا إليه من المباحات. قال (عليه السلام) : «ألا لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبته». وفي رواية : «ولا يسم على سومه».

٩ — الرفق بضعفائهم — كما قال النبي (عليه السلام) : «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا». وقال عليه الصلاة والسلام : «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». وقال تعالى :

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يَريُدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١).

١٠ — الدعاء لهم والاستغفار لهم — قال تعالى :

﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٢).

وقال سبحانه : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٣).

تنبيه :

وأما قوله تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٤).

فمعناه أن من كف أذاه من الكفار فلم يقاتل المسلمين ولم يخرجهم

(١) الكهف آية ٢٨.

(٢) محمد آية ١٩.

(٣) الحشر آية ١٠.

(٤) الممتحنة آية ٨.

من ديارهم فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الديني ولا يحبونه بقلوبهم لأن الله قال :

﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنُفْسُطُوا إِلَيْهِمْ﴾

ولم يقل توالونهم وتحبونهم. ونظير هذا قوله تعالى في الوالدين الكافرين:

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَابْتَغِ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَى اللَّهِ﴾ (١).

وقد جاءت أم أسماء إليها تطلب صلتها وهي كافرة فاستأذنت أسماء رسول الله (ﷺ) في ذلك فقال لها : صلي أمك، وقد قال الله تعالى:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (٢).

فالصلة والمكافأة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر، ولأن في الصلة وحسن المعاملة ترغيباً للكافر في الإسلام فهما من وسائل الدعوة بخلاف المودة والموالة فهما يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه والرضى عنه وذلك يسبب عدم دعوته إلى الإسلام.

وكذلك تحريم موالة الكفار لا تعني تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم. فالنبي (ﷺ) استأجر ابن أريقط الليثي ليدله على الطريق وهو كافر واستدان من بعض اليهود، وما زال المسلمون يستوردون البضائع والمصنوعات من الكفار — وهذا من باب الشراء منهم بالثمن وليس لهم علينا فيه فضل ومنة. وليس هو من أسباب محبتهم وموالاتهم، فإن الله أوجب محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين ومعاداتهم.

(١) لقمان آية ١٥.

(٢) المجادلة آية ٢٢.

قال الله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَابُوا وَاجْتَبَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١).

إلى قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(٢).

قال الحافظ ابن كثير : ومعنى قوله : [إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير] أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل.. انتهى.. قلت : وهذا ما حصل في هذا الزمان. والله المستعان .

أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء

الناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من يحب محبة خالصة لا معاداة معها، وهم المؤمنون

الخلص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله (ﷺ) فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبين وصحابته الكرام — خصوصاً الخلفاء الراشدين وبقية العشرة والمهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ثم التابعون والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها — كالأئمة الأربعة. قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

(١) الأنفال آية ٧٢.

(٢) الأنفال آية ٧٣.

(٣) الحشر آية ١٠.

ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيف والنفاق وأعداء الإسلام كالرافضة والخوارج نسأل الله العافية.

القسم الثاني : من يبغض ويعادى بغضاً ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما وهم الكفار الخالص — من الكفار والمشركين والمنافقين والمتردين والملحدين على اختلاف أجناسهم كما قال تعالى :

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (١).

وقال تعالى عائلاً على بني إسرائيل :

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ بِالَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَخِطَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٢).

القسم الثالث : من يحب من وجه ويبغض من وجه — فيجتمع فيه المحبة والعداوة وهم عصاة المؤمنين. يحبون لما فيهم من الإيمان ويبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك. ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم. فلا يجوز السكوت على معاصيهم بل ينكر عليهم ويؤمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتقام عليهم الحدود والتعزيرات حتى يكفوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم. لكن لا يبغضون بغضاً خالصاً ويتبرأ منهم كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك — ولا يحبون ويوالون حباً وموالاة خالصين كما تقوله المرجئة بل يعتدل في شأنهم على ما ذكرنا كما هو مذهب أهل السنة والجماعة..

(١) المجادلة آية ٢٢.

(٢) المائدة الآيات ٧٩ ، ٨٠.

والحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان، والمرء مع من أحب يوم القيامة كما في الحديث.

وقد تغير الوضع وصار غالب موالاة الناس ومعاداتهم لأجل الدنيا فمن كان عنده طمع من مطامع الدنيا والوه وإن كان عدواً لله ولرسوله ولدين المسلمين. ومن لم يكن عنده طمع من مطامع الدنيا عادوه ولو كان ولياً لله ولرسوله عند أدنى سبب وضايقوه واحتقروه. وقد قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : (من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) رواه ابن جرير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : «إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» الحديث رواه البخاري. وأشد الناس محاربة لله من عادى أصحاب رسول الله (ﷺ) وسبهم وتنقصهم، وقد قال (ﷺ) : «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً، فمن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» أخرجه الترمذي وغيره. وقد صارت معاداة الصحابة وسبهم ديناً وعقيدة عند بعض الطوائف الضالة.. نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه، ونسأله العفو والعافية، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه ..